"طبانة مخازن خير الدين بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية".

د.مفتاح عثمان.

حرص خير الدين ومن بعده خلفاؤه بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية حرصاً شديداً علي تأمين ميناء مدينة الجزائر الحديث، وذلك باعتباره المنطقة الأكثر عرضة للخطر الخارجي، إذ يعد هذا الميناء المرفأ الآمن للسفن* ونقطة الاتصال الرئيسية مع العالم الخارجي، وكذا تأمين ورشة صناعة السفن الحربية التي كانت تقع في عمق الميناء من الجهة الشرقية، والذي يعود تاريخ إنشائها إلى ما قبل سنة 1535م[1].

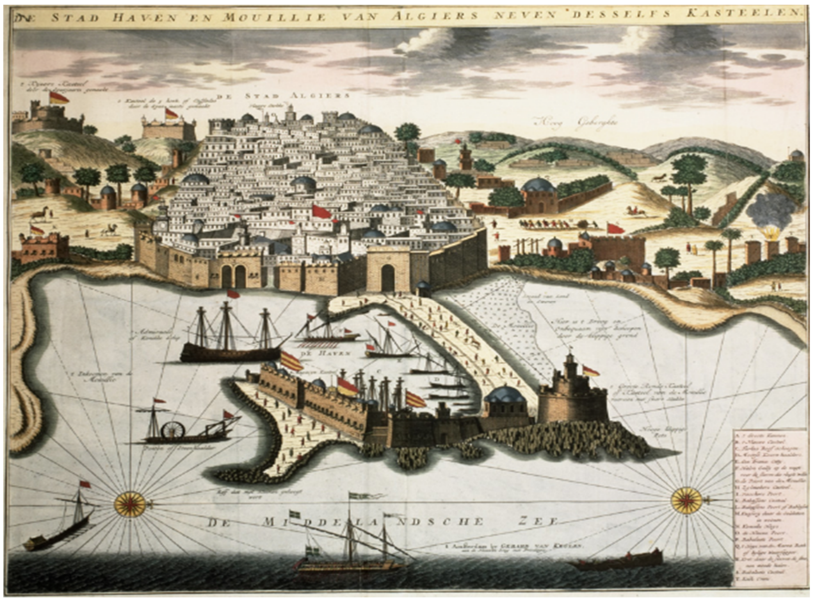
DE STAD HAVEN EN MOUILLIE VAN ALGIERS NEVEN DESSELFS KASTEELEN.
DE STAD ALGIERS
Hoog Gebergte
DE HAVEN
DE MIDDELANDSCHE ZEE

اللوحة رقم 01: مدينة وميناء مدينة الجزائر (القرن 17م).

اهتم حسن أغا (1537–1545) الذي تولي الحكم بعد خير الدين بتحصين الميناء وتزويده بجملة من الوسائل الدفاعية، وذلك خشية من الحملة الضخمة التي كان يحضر لها شارلكان ضد مدينة الجزائر، ومن بين هذه الإنجازات بناء السور الذي يزيد علوه عن ثلاثة أمتار على أساسات القلعة الإسبانية، والمزودة بفتحات للمدفعية علي أرض الجزيرة، حيث يكون بمثابة حاجز يمنع العدو من الإنزال بالجزيرة، ومانعا من الاستيلاء على الميناء، فهو يعد الإنجاز الأول من نوعه الذي خُصص

---

* – قبل تحرير الميناء وتحطيم الحصن الإسباني (بينيون) كانت القوارب العثمانية ترسو في ناحية باب عزون بمحاداة ضريح الولي سيدي عبد القادر... انظر بن حموش مصطفى وبلقاضي بدر الدين ، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ضبي، 2004، ص81.

[1] – Primoudaie, « Documents inédits », In (Revue Africaine), N°19, 1875, p165.

لتحصين الميناء ضدّ الهجمات الأوربية التي كانت تهدد مدينة الجزائر[2].شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر (17) كثرة الهجمات البحرية التي شنها الأوربيون مرارا على ميناء ومدينة الجزائر، نذكر منها الحملة الإنكليزية سنة 1672م، الحملة الهولندية سنة 1680م، الحملة الفرنسية خلال سنوات 1665م، 1682م، 1683م، 1688م[3].

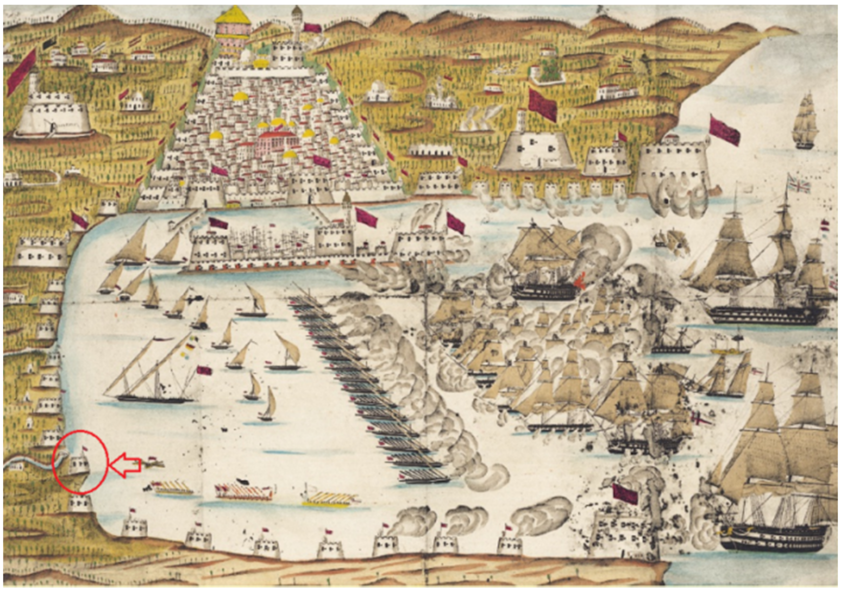

اللوحة رقم 02: حملة أوريلي الإسبانية على مدينة الجزائر سنة 1775م.

وقد ترتب على هذه الهجومات عدة توسعات وتحسينات أدخلها الأتراك العثمانيون على الميناء، وجعلت منه ملجأً آمنا للسفن، ودرعا حصينا يصدّ كل الهجمات البحرية المعادية، ومن جملة هذه التحصينات المُقامة بالميناء (الواجهة البحرية) نجد برج الفنار الذي عززه "**عراب أحمد**" سنة 1572م[4]، برج السردين الذي شيده الحاج على آغا سنة 1667م[5]، برج القومان* **(الجمان)**، والذي أعاد بناءه عمر باشا سنة 1814م[6].

---

[2] – Berbrugger (A), Algérie, Histoire pittoresque et monumentale, T1, Paris, 1843, p27.

[3] - Le Glay (M), Ala recherche d’Icosium, in Antiquité africaine, T2, Alger, 1968, p30.

[4] - Devoulx.(A), "Alger Etude archéologique et topographique sue Cette ville in (Revue Africaine 20), 1876, p481.

[5] - Colin (G), corpus des inscriptions arabes et turques de L’Algérie, Département d’Alger, 1ed, paris, 1901.

* **تعني كلمة** القومان الحبل الغليظ، وهي كلمة إيطالية **(gumena) المشتقة منها، لأن الحبال المخصصة للمراكب كانت تحفظ بمخزن بداخله. انظر:**

Imbert Alfred, L’amirauté d’Alger. IMP. Topographique, S.Léon. Alger, 1908, p17.

[6]- بن حموش مصطفى وبلقاضي بدر الدين، المرجع السابق، ص88.

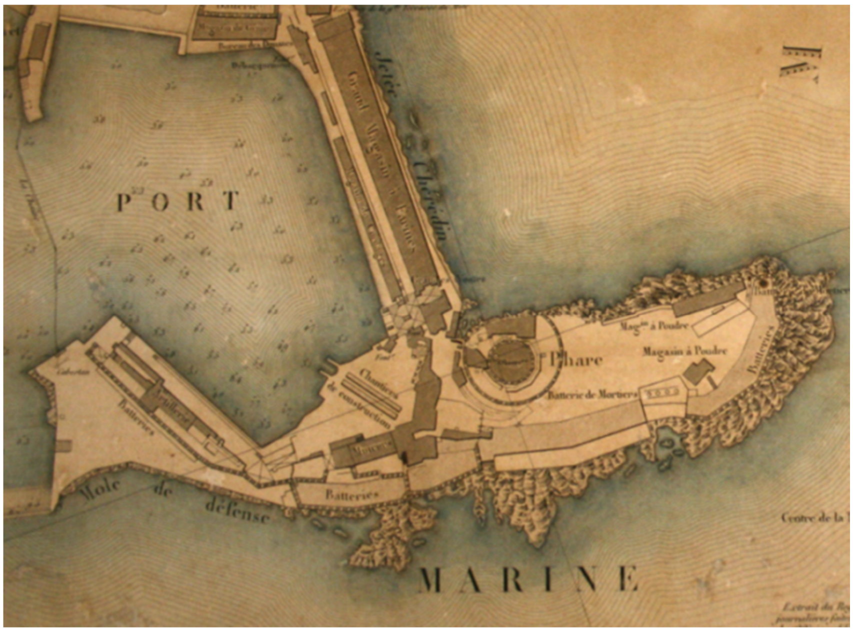

الخريطة رقم 01: ميناء مدينة الجزائر سنة 1832 عن أرشيف وزارة الحربية الفرنسية

برج رأس المول شُيِّد هو الآخر من طرف "**عراب أحمد**" سنة 1573م عند الطرف الجنوبي للرصيف الكبير ليقوم بحراسة مدخل الميناء[7]، وبرج رأس عمار القديم الذي شيده محمد باشا سنة 1784م، حيث كان يحتوي على 28 فتحة للمدفعية,و[8]برج رأس عمار الذي شيّده حسن باشا سنة 1829م، والذي بني على أنقاض طبانة، وقد احتوى هذا البرج على 34 فتحة للمدفعية[9]، بينما برج الجديد هو الآخر شُيِّد سنة 1774م من طرف محمد عثمان باشا[10]. وبرج ما بين الذي شُيِّد من طرف آخر الدايات "**حسين باشا**" سنة 1823م، وكان من مهامه تقديم التحية للسفن الحربية[11]*.

---

[7] – نفسه، ص97.

[8] - Devoulx.(A), ibid, p481.

[9] – **درياس لخضر** ، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة ماجستير، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر،1990، ص119.

[10] - Devoulx (A),Eldjazair histoire d’une cite dico sium à Alger, Edition critique.2003, p47.

[11] - Devoulx (A),Eldjazair histoire.., op.cit, p48.

* – **إلى جانب المنشآت الحربية كانت هناك العديد من المنشآت العمرانية بالميناء، نجد منها كشك قبطان البحر، ترسانة خير الدين، مسجد البحرية (مسجد سيدي إبراهيم البحري)، عين البحر، دار وكيل الحرج، دار الطوابجية،** حمامات الجيش، سجن البحرية...الخ، انظر: خلاصي علي، القلاع والحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية في العصر الحديث، مطبعة الديوان، 2008م، ص27–28.

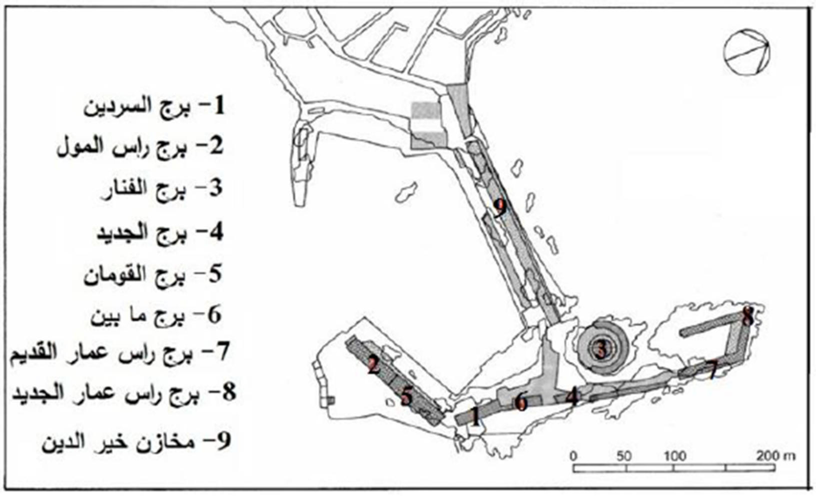

المخطط رقم 01: أماكن تواجد أبراج الميناء.

المخطط رقم 02: مواقع طبانات ميناء الجزائر. عن: مصطفى بن حموش.

أما عن طبانة* الميناء والذي عليه يدور موضوع مقالنا هذا، فقد شهد هذا الميناء بناء طبانتين خلال العهد العثماني، وهي (طبانة رأس عمار وطبانة بابا مرزوق)، بالإضافة إلى طبانة مخازن خيرالدين التي هي عنوان مقالنا هذا.فعن الطبانتين الأوليتين فيذكر الدكتور "شو" أنّ الميناء بشكله الطولي يتسع لثلاثين ومائة (منصة أو مكان) طولا وثمانية وأربعين عرضا، كما أن المول الواقع في

---

* - الطبانة هي تعريف لكلمة تركية الأصل (TABBANA) بمعنى "TOPKHANE" وتعني بطارية المدفع، وهي الوحدة التقنية والمكان الذي توضع وتُهيّأ به المدافع، وهي كلمة مركبة من كلمتين (طوب) وتعني المدفع و (خانه) وتعني لبيت أو المكان الذي يضم هذا المدفع... انظر:
Bencheneb (Mohamed), Mots Turcs et personés conserves dans les parler Algériens, jules carbonel, Alger, p58.

جهة الشرق محصن جيداً، أما الحصن الذي بناه الاسبان ، وكذلك البطاريتان المتقدمتان في البحر اللتان بنيتا خلال هذا القرن، فقد كانتا جاهزتان لإطلاق النار"[12]. فهذا دليل على وجود هاتين الطبانتين.

وقد جاء ذكر طبانتين بميناء مدينة الجزائر بالعهد العثماني، لكن أغلب المراجع التاريخية التي تتحدث عن تحصينات الميناء تصفها غالبا بالطبانات، حيث لا تميز بين حصن وطبانة لذا نجد بعض الغموض حول استعمال هذه المفردات العسكرية، لكن هناك ملاحظة يجب الاشارة إليها هي أنه قد تكون بداية التحصينات في مجملها تبدأ ببناء الطبانات، ثم يقع عليها هذه الأخيرة جملة من التوسيعات والاضافات من مرافق معيشية لتغير تسميتها من طبانة إلى برج وحصن.

أولا/ طبانة رأس عمار:

على الجزيرة الشمالية إلى الشمال الغربي من برج الفنار توجد طبانة رأس عمار التي كانت عبارة عن متراس طوله 42م مجهزة بثلاثة صفوف من مدافع الهاون، يبلغ عددها 18 هاوناً[13].

لقد كانت هذه الطبانة تحمي من خلال موقعها الواجهة البحرية وتقوم بالتغطية لحصن رأس عمار القديم الذي كان تحت إدارة الباشطبجي، وحسب ما جاء في مخطط لسنة (1245ه/1829م)، فقد كان هذا البرج – رأس عمار القديم– يحتوي على 25 مدفعا من عيار 18 وسبع قاذفات من العيار الكبير و28 فوهة نارية موجهة نحو البحر، وفق ما جاء في مخطط لسنة (1245هـ/1829م) [14].

حسب ديفولكس (Devoulx) الذي عاين الموقع بداية الاحتلال الفرنسي، فيشير أنه قد بقيت هذه التحصينات التي تشبه جزيرة معزولة من المنارة يفرق بينهما قناة من الصخور التي تعلوها الأمواج بحيث لا يمكن المرور عندما يهيج البحر، وقد قام الباشا حسين آخر الحكام العثمانيين بردم هذه القناة وبناء برج جديد فوقها وسمي "رأس عمار الجديد"، حيث كان هذا البرج تحت إدارة باشطبجي مزود بنحو ثلاثين قطعة حربية موزعة على طابقين[15].

أما من جهتنا فقد كانت لنا زيارة لموقع هذه الطبانة والأبراج المجاورة لها إلا أننا وجدنا كل شيء قد تهدم وقد حدث هذا خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، وأنجزت في موقع هذه الطبانة والأبراج المجاورة لها – برج رأس عمار القديم والجديد– بنايات جديدة ما يشبه عمارة ذات الشكل الطولي وبطوابق، والتي ربما أنجزت خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية.

---

[12] – مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المرجع السابق، ص83.

[13] – Devoulx (A), Eldjazair histoire.., Op.cit, p47.

[14] – مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المرجع السابق، ص92.

[15] – Devoulx (A), Ibid, p20.

الصورة رقم 01: موقع طبانة رأس عمار الجديد.

ثانيا/ طبانة بابا مرزوق:

عند الطرف الجنوبي من حصن السردين، نجد كاسراً للأمواج يحد الميناء القديم ويمتد بزاوية قائمة عائدا إلى المدينة متبعا الاتجاه شرق غرب وعند الزاوية القائمة المذكورة نجد قبة تضم غرفة بطابقها السفلي مدفعا عملاقا يطلق عليه "بابا مرزوق"[16]، كما يعرف أيضا باسم "القنصلية"(La Consulaire) لأنه قضى بقذائفه على القسيس الفرنسي لوفاشيه (Levacher) والقنصل بيول (Piolle) خلال حملة دوكين على مدينة الجزائر سنة (1094هـ/1683م)[17].حسب ديفولكس، فإن الطبانة التي يتواجد بها مدفع بابا مرزوق كانت لا تعرف بأي اسم*، وهي عبارة عن عقد وضع فيه بابا مرزوق، تربط بين برج السردين وبرج الجمان وتضم حسب ما جاء في مخطط 1832م سبع فتحات للمدفعية[18].

لقد ظل مدفع بابا مرزوق مكشوفا وفي موقع خال من التحصينات حيث القبة التي وضع فيها ليست قديمة[19]، ربما لعظمة المدفع وكبره، فمدفع بابا مرزوق من أقدم المدافع وأشهرها على الإطلاق

---

[16] – مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المرجع السابق، ص97.

[17] – Devoulx (A), Eldjazair histoire.., Op.cit, p56.

* – هنالك بعض المراجع الحديثة أطلقت على هذه الطبانة تسميت طبانة باب مرزوق نسبة لتواجد هذا المدفع...، انظر: Khalassi Ali, Construction militaire ottomane de la ville d'Alger, musée centrale de l'armée, Alger, 1985, p62.

[18] – مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المرجع السابق، ص97.

[19] – Khalassi Ali, ibid, p13.

نظراً لما يذكر به من حوادث تاريخية هامة، يبلغ طوله حوالي 6.26م وعياره 270ملم ووزن قنابله بلغ 68 كغ ووزن المدفع كله حوالي 2500 كغ، أما مدى رميته فتقدر بحوالي 4800م، يخلو بدنه من أية زخرفة إلا كتابة فرنسية نقشت عليه أثناء غنمه سنة (1246ه/1830م)[20].عرف هذا المدفع باسم بابا مرزوق لدى الجزائريين غير أن تسميته بالقنصلية من طرف الأوروبيين يرجع أساسا إلى حادثة قذف القنصلين الفرنسيين كما ذكرنا سابقا[21].صنع مدفع بابا مرزوق من طرف أحد الحرفيين البنادقة بمناسبة تدشين تحصينات الميناء ودار الصناعة، وضع في تحصينات الميناء وبالذات قرب برج القومان، وبقي هناك حتى سنة 1246هـ/1830م)، وهي السنة التي غنم فيها*، ونقل إلى مدينة براست حيث نصب عمودياً في ساحتها العمومية[22].

ثالثا: طبانة مخازن خير الدين

أما الطبانة الثالثة التي لم يرد ذكرها في المصادر والمراجع، والتي رأينا أنها طبانة ثالثة بالميناء فهي طبانة مخازن خير الدين، فعند تفقدنا لعدة صور فوتوغرافية قديمة تعود لسنوات 1856م-1860م-1880م-1890م، وتفحصها بدقة باستعمال المكبر والعدسة تبين لنا في بعض الصور وبوضوح وجود فتحات للمدفعية موجودة فوق سطح مخازن خير الدين، ما يفسر تواجد طبانة كانت واقعة فوق هذا السطح، فقد أنشأ في أول مرحلة وبأمر من خير الدين سنة (935هـ/1529م) رصيف يصل الجزر الصغيرة بالجزيرة الكبيرة وربطها بالأرض حيث يصل طول هذا الرصيف إلى 130متر وعرضه 25متر وارتفاعه أربعة أمتار[23].

أمّا في عهد صالح رايس سنة (959ه-963ه/1552م-1556م) زيد في ارتفاع رصيف خير الدين ومهد فوقه ممر معبد يصل إلى برج الفنار، تم تدعيم هذا الرصيف بسور والزيادة في عرضه[24]،

---

[20] – لخضر درياس، المرجع السابق، ص223.

[21] – Devoulx (A), Eldjazair histoire.., Op.cit, p15.

* – كتبت رسالة عن كيفية نقله إلى مدينة براست بورد ترجمت وهذا نصها:

ميناء الجزائر / فوق ميناء الجزائر / إلى جلالة وزير البحرية والمستعمرات

سيدي قد كلفت النقيب كاسبنش بنقل القطعة البرونزية المعروفة باسم القنصلية فوق سفينة لاماري لويس إلى طولون والتي جلبت من بطاريات البحرية بعد أن استولى عليها الجيش الذي كلن تحت قيادتي، وهي التي قذفت بها القنصل لافانشي في سنة 1683م أثناء قنبلة لمدينة الجزائر...، انظر: لخضر درياس، المرجع السابق، ص224.

[22] – لخضر درياس، نفسه، ص224.

[23] – Le Glay (M), op.cit, p30.

[24] – Ibid. p28

وذلك على خط مستقيم يبدأ من نقطة البر الممتدة من المدينة نحو البحر باتجاه اليسار بمسافة ثلاثمائة قدم طولاً وعشرة أشبار عرضًا وقرابة خمسة عشر شبرًا ارتفاعًا[25].

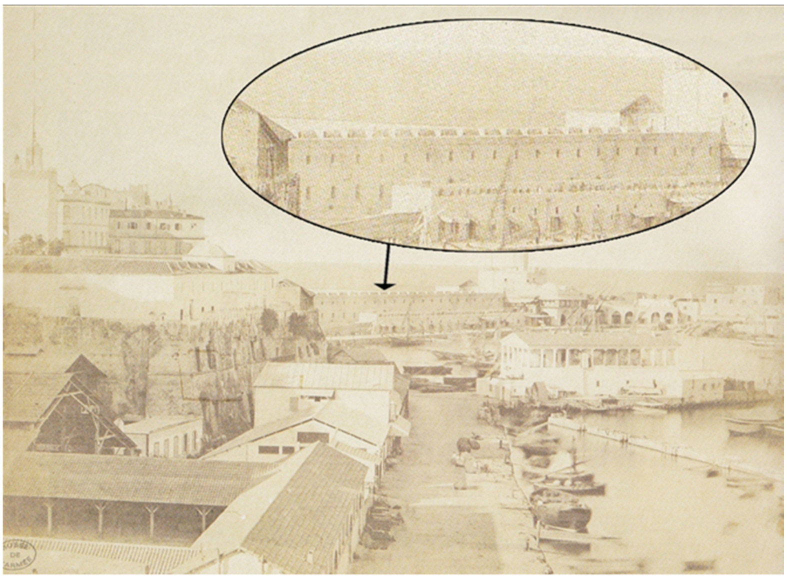

الصورة رقم 02: بروز فتحات المدافع لطبانة مخازن خير الدين سنة 1856. عن Malek (A) بتصرف.
Alloula malek, photographiée ou XIX^{e} siècle musumeci, val d'Aste (Italie), 2001.

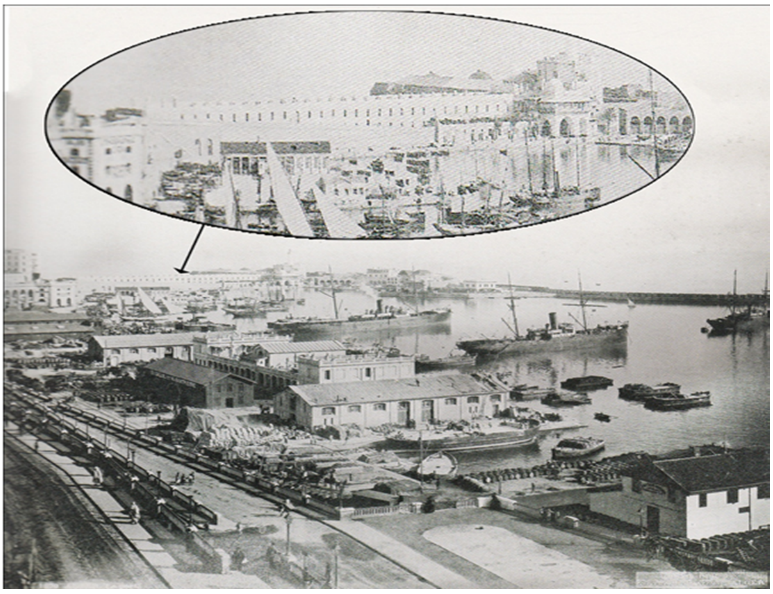

الصورة رقم 03: طبانة مخازن خير الدين سنة 1890. عن Malek (A) بتصرف.

Alloula malek, photographiée ou XIX^{e} siècle musumeci, val d'Aste (Italie), 2001.

---

[25] – Haedo (D), op.cit, p418..

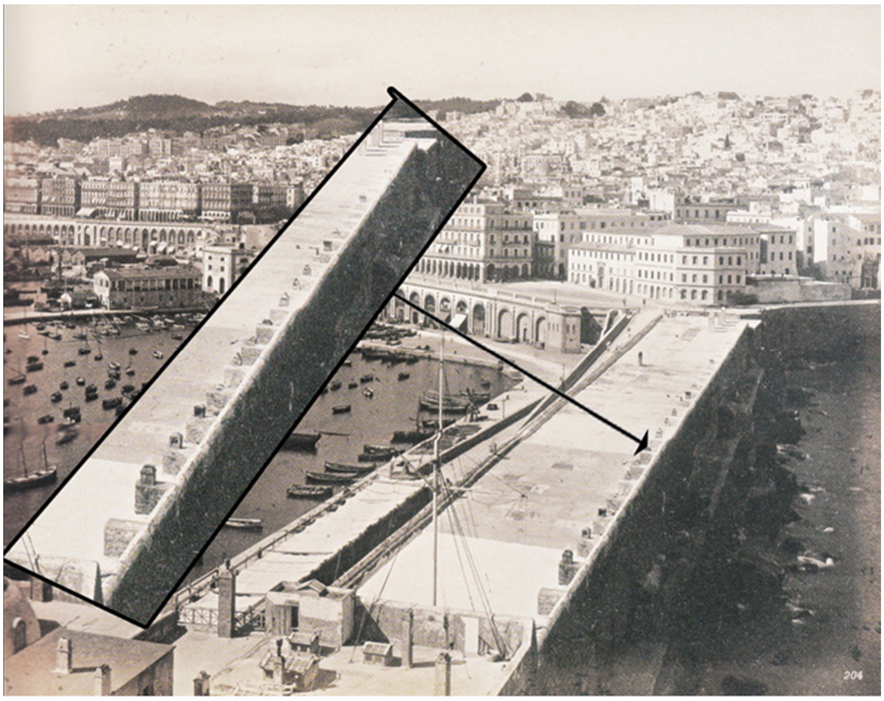

الصورة رقم 04: فتحات المدافع لطبانة مخازن خير الدين عام 1880. عن (A) Malek مرجع سابق بتصرف.

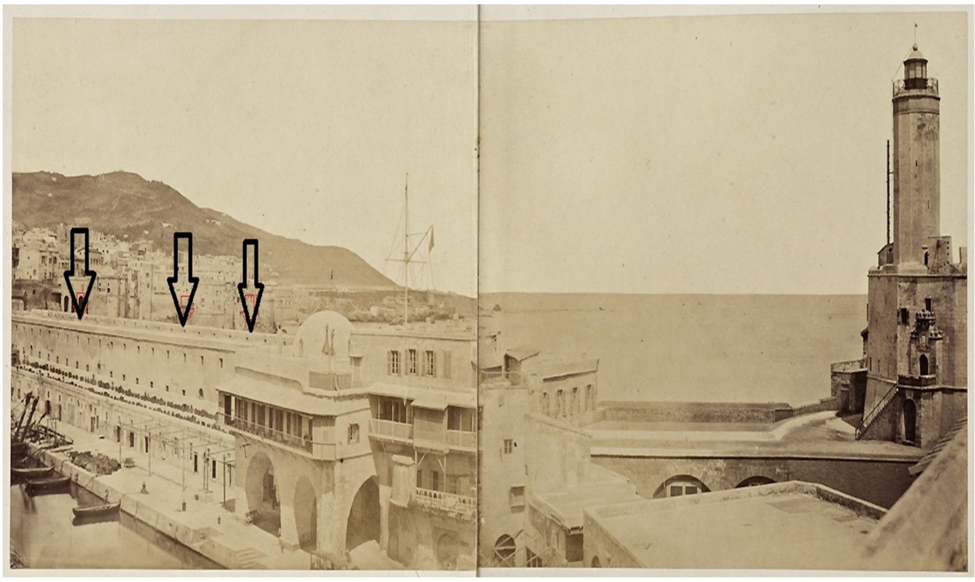

الصورة رقم 05: منظر عام لطبانة مخازن خير الدين سنة 1860 عن (A) Malek بتصرف.

حيث لم يكن الرصيف يضم أية قطع حربية، باستثناء مدفع بنهاية الرصيف، عند مقر القبطان، موجه إلى المدينة كان يستعمل لإنذار السكان عند وقوع أي هجوم بحري مباغت أو حدوث زوبعة أو حريق في الليل[26]. أن الوصف التاريخي لديفولكس ينطبق على الرصيف- رصيف خير الدين- لكن سطح مخازن خير الدين الذي تظهر لنا في الصور الفوتوغرافية هذه الفتحات فإنه لا وجود لأي نص تاريخي عنها، لكن نعود إلى هذه المخازن والتي تم تشييدها من طرف الحاج باشا سنة

---

[26] – مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المرجع السابق، ص84.

(1230ه/1814م)، وقد كانت لنا زيارة لداخل هذه المخازن والتي تعتبر من أتقن وأشد البنايات وأعظمها بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، فهي ذات علو كبير واتساع في المساحة. بنيت بالحجارة المصقولة التي أنجزت بها الدعامات التي تحمل منابت العقود، أمّا السقف فهو يعتبر تتمة للعقود المنطلقة التي تشكل بدورها عند تقاطعها أقبية متقاطعة ذات روعة وجمال.والملاحظ هو الدقة في الإنجاز وكذا استعمال المواد الإنشائية العالية المقاومة للحمولة والضغوطات، ربما كان هذا ليس فقط لتخزين القمح والزيت والزبدة – هذا ما تذكره بعض المراجع التاريخية.

فربما أريد بهذا الإنجاز أن يستغل ويستعمل لخدمتين الأولى لتخزين المؤونة والخدمة الثانية وضع طبانة في السطح، زد على ذلك الصور التي أمامنا تظهر هذه الفتحات التي تصل إلى ثلاثين فتحة، فأثناء زيارتنا إلى الميناء حاولنا الاستفسار والبحث عن هذه الفتحات لكن تم بناء طابق فوق السطح وسد كل هذه الفتحات، هذا ما يزيد من فرضية متانة السطح الذي كان يحمل القطع المدفعية الثلاثين، والذي يحمل اليوم طابقا بأكمله بدون صعوبة.

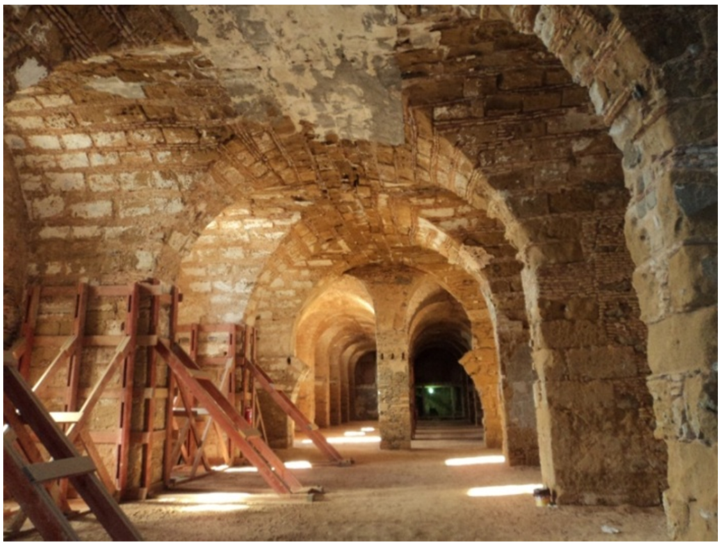

الصورة رقم 06: مخازن خير الدين من الداخل

الصورة رقم 07: مخازن خير الدين من الداخل.

ما بقي لنا هو القيام بحفرية عند هذا الجزء من السطح الواقع على يسار السطح والمطل على الجهة الجنوبية باتجاه البحر وشاطئ باب الوادي، لقطع الشك باليقين عن احتمال وجود هذه الطبانة، والتي تظهر كل الصور القديمة التي بحثنا فيها عن وجودها في هذا الموقع بالتحديد، وإن وجدت وثبت ذلك حتمًا سوف تكون تسميتها بـــ: "طبانة مخازن خير الدين".

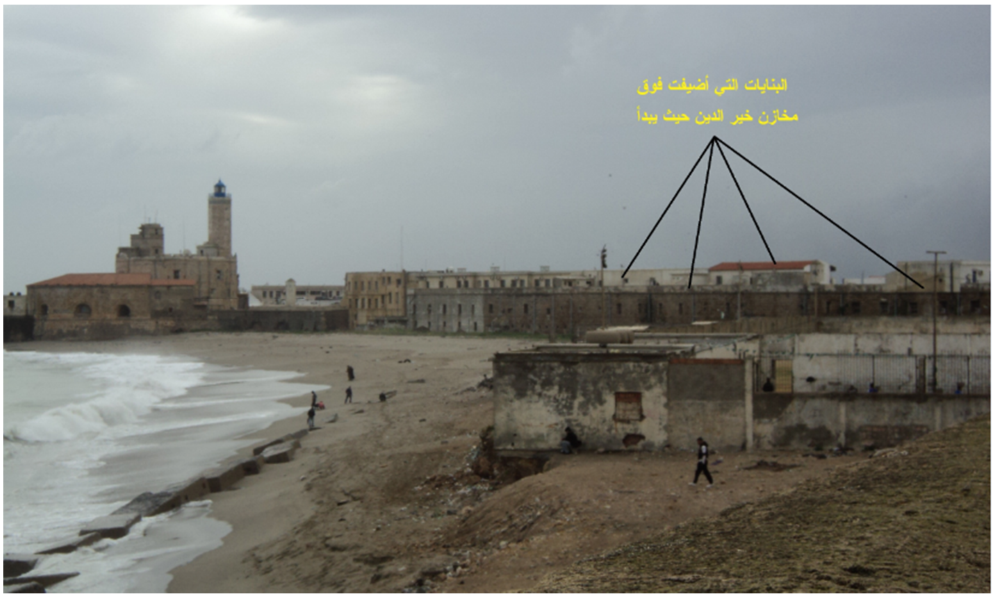

الصورة رقم 08: طبانة مخازن خير الدين من الخارج.